CJSP
ISSN-2536-0027

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية

مجلة علمية محكمة تصدر
عن مركز كامبريدج للبحوث
والمؤتمرات في مملكة البحرين

العدد ـ ٣٤ ـ حزيران ـ ٢٠٢٤

CAMBRIDGE
RESEARCH AND CONFERENCES CENTER

صدر العدد بالتعاون مع
جامعة المشرق
العراق بغداد .طريق المطار الدولي

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الرابع الثلاثون – حزيران ٢٠٢٤– ذي الحجة ١٤٤٥
ISSN–2536–0027

انتفاضات العشائر للقضاء على حكم المماليك في البصرة ١٧٨٧-١٨٣١

م.م. حلا مزهر جايد
جامعة ذي قار – كلية الصيدلة

المقدمة

شهد العراق في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي تغيرا في الحكم ، فقد انتقلت ادارته من يد الولاة العثمانيين الى المماليك ، الذين جلبهم العثمانيين اليه ، وبسبب سياسة الولادة المماليك شهد العرق احداثا كبيرة واهمها الثورات المتكررة من قبل العشائر العراقية لاسيما عشائر الفرات الاوسط بسبب كثرة الضرائب المفروضة عليهم وسياسة التهميش التي اتبعها المماليك معهم .

خلال حكم المماليك للعراق ظهرت وبصورة لافتة للنظر الثورات التي تقودها العشائر العراقية ضد سياسية المماليك معهم ، وفي هذه الدراسة تناولنا الثورات التي شهدتها البصرة والمناطق القريبة منها كالفرات الاوسط وذلك لقربها من بغداد واحتكاكها الدائم مع المماليك ، واشتملت الدراسة عدة نقاط منها موجز تاريخي عن دخول المماليك للعراق والتطرق الى دور الوالي العثماني حسن باشا الذي كان اول من قام بجلب المماليك الى العراق واعدادهم لادارة البلاد واعطاهم القوة والقدرة في التكمن من السيطرة على كرسي السلطة فيه .

والقينا الضوء الى الاسباب المباشرة الى قيام هذه الثورات ضدهم والتي كان من اهم اسبابها سوء الادارة وجسامة الضرائب المفروضة عليهم من اجل ارضاء الباب العالي وكذلك لسد نفقات الحملات العسكرية التي يشنها المماليك على الحدود مع الدولة الفارسية والعشائر الثائرة ، واهم خطر واجه المماليك الذي اضعفهم بصورة لافتة للنظر هي ثورة عشيرة الخزاعل والعشائر المتحالفة معها .

واستندت الدراسة الى مصادر عديدة تناولت تاريخ المماليك في العراق والدولة العثمانية وكذلك التي تناولت تاريخ العراق والرسائل الجامعية الغير منشورة التي افادت الدراسة.

المبحث الاول

حكم المماليك في البصرة

أن المماليك [١] كانوا مرتبطين بسلالات عسكرية من الأصل التركي والكردي ، وكانوا يمتلكون القوة العسكرية والسياسية في المنطقة وكانوا يحكمون بقوة وشدة ، واستمر حكمهم في مصر وبعض الأقاليم المحيطة بها حتى القرن السادس عشر عندما استولى العثمانيون على مصر وأخضعوها لحكمهم.[٢]

دخلت دولة المماليك في مصر في العلاقات السياسية مع العراق على مر العصور، ولكن لم يكن هناك حكم مباشر للمماليك في العراق كما في مصر، خلال فترة حكم المماليك في مصر، كانت هناك تبادلات تجارية وعسكرية بين مصر والعراق، وكانت المماليك تسعى لتوسيع نفوذها وزيادة تأثيرها في المنطقة ، مع انهيار الدولة العباسية في بغداد في القرن الثالث عشر، ظهرت سلطات محلية مستقلة في مناطق مختلفة من العراق ، وخلال هذه الفترة كان هناك تأثير للمماليك في العراق من خلال دعم بعض الأحكام المحلية أو العلاقات الدبلوماسية. [٣]

المماليك كانوا مجموعة من العسكريين الأتراك الذين سادت سلطانهم في مصر في القرن الثالث عشر، امتد حكمهم إلى مناطق أخرى في العالم الإسلامي بما في ذلك العراق ، وقد أسسوا حكمًا مركزيًا في البصرة

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الرابع الثلاثون – حزيران ٢٠٢٤– ذي الحجة ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

بعد سقوط بغداد، حيث أنشأوا نظامًا إداريًا واقتصاديًا في المدينة ، وفي وقتهم شهدت البصرة تطورًا اقتصاديًا وثقافيًا، اذ شهدت المدينة تجارة نشطة وتبادلًا ثقافيًا بين الشرق والغرب ، ومع ذلك كانت فترة حكم المماليك في البصرة مليئة بالصراعات والتحديات، بما في ذلك التهديدات العسكرية من قبل القبائل المحلية والدول المجاورة.[٤]

بعد فترة حكم المماليك في البصرة ، جاءت فترة جديدة من السيطرة العثمانية على المنطقة ، سقطت البصرة في يد العثمانيين عام ١٥١٧م خلال حملة عثمانية ضد الدولة المملوكية ، استمرت السيطرة العثمانية على البصرة لعدة قرون، حتى انهيار الإمبراطورية العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.[٥]

شهد العراق في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي تغييرا في سياسة الحكم من قبل الولاة العثمانيين ، اذ قامت الحكومة العثمانية بجلب المماليك من خارج العراق تحت ضغط ظروف معينة ، ونشأت اجيال حكمت بغداد والبصرة .[٦]

وكانت انتفاضات العشائر في البصرة ضد حكم المماليك سلسلة من الثورات التي وقعت في الفترة بين عامي ١٧٨٧ و ١٨٣١، كانت المماليك هم مجموعة من العسكريين الأتراك الذين انتزعوا السلطة في مصر والعراق في هذه الفترة ، وكان اول ظهور للمماليك في العراق كقوة عسكرية على يد الواليين حسن باشا الذي وصل الى الحكم عام ١٧٠٤ م وابنه احمد باشا قاما في تثبيت السلطة والقضاء على تمردات والثورات التي كانت تحدث آنذاك بعد ان ضعفت الانكشارية عن اداء واجباتها واصبحت عنصر تمرد على الولاة ، غير ان المماليك استطاعوا ان يتحولوا الى قوة سياسية متنفذة بدأت تطمع في السيطرة على الحكم بعد وفاة احمد باشا عام ١٧٤٧م .[٧]

وكان من الاسباب التي ادت الى اعتماد السلاطين العثمانيين على المماليك هو انحسار وتفكك القوات الانكشارية [٨] ، التي بدات تتهرب من مسؤولياتها واصبحت لا تلتزم بالاوامر العسكرية وليس لها أي حضور ملموس امام الجيش ، وكذلك كان لضعف السلطة المركزية في ادارة بعض اقاليمها الامر الذي ادى الى قيام حكومات محلية قوية تمكنت من ملء الفراغ الناجم عن ضعف الادارة العثمانية .[٩]

والعراق كان ايضا قد شهدت ولاياته عدة محاولات لقوى محلية استهدفت تاسيس حكومات محلية وراثية ، مثل اسرة افرسياب ، والبهدنانية في العمادية ، و الأسرة الجليلية في الموصل والأسرة البابانية في السليمانية .[١٠]

قام حسن باشا بالتفكير لايجاد قوة بديلة عن الانكشارية ولم يفكر ان يكونها من العراقيين لانه كان يرى ان مشاكل المجتمع العراقي الذي تسوده العادات العشائرية وتتحكم فيه العصبية القبلية التي حالت من دون احترام حكومة حسن باشا واطاعة انظمتها، فضلاً عن صعوبة اتخاذ قوة مؤلفة من العراقيين آنذاك يستند اليها في تحقيق ما يصبو اليه ، لذا التجاء الى شراء الفتيان من اسواق مدينة تفليس والمدن الجورجية الاخرى وبلاد الشركس، وجميعها من بلاد القوقاز او ما جاورها، وكان هؤلاء يجلبون فيودعون في مدارس خاصة ليتعلمو القراءة والكتابة والسباحة والفروسية وفنون القتال .[١١]

ثم قام حسن باشا بتاسيس دائرة خاصة اطلق عليها اسم (ايج دائرة سي) [١٢] ، أي الدائرة الداخلية ومهمتها شراء المماليك وتدريبهم .[١٣]

وعندما تولى الوالي احمد باشا ابن حسن باشا بعد ابيه استمر على نفس النهج وقام بزيادة اعداد المماليك وشرائهم ، وخلال حكمه اصبحوا قوة لا يستهان بها ، وقام باتخاذ بعضهم حرساً يعتمد عليهم وتولى عدد كبير منهم ادارة بعض المدن العراقية واعمال حكومية اخرى .[١٤]

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الرابع الثلاثون – حزيران ٢٠٢٤– ذي الحجة ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

تحول المماليك الى قوة سياسية متنفذة في العراق واصبحت انظارهم تتركز على حكم العراق بعد وفاة احمد باشا عام ١٧٤٧م ، وكانت بداية حكم المماليك للعراق عام ١٧٤٩ م عندما تولى سليمان باشا الحكم في بغداد ، وهو زوج ابنة الوالي السابق احمد باشا ، وكان شديد المراس وكانت الناس تهابه واطلقوا عليه عدة اسماء منها ابو ليلى وذلك لتجواله ليلا مع حرسه في بغداد ، وكذلك كان يهاجم اعدائه حتى في الليل ، وكذلك اطلق عليه اسم سليمان الاسد ، ولغرض تثبيت حكمه قام بجلب المزيد من المماليك واسس لهم مدرسة خاصة بهم ، وقام بتشكيل جيشا كبيرا منهم ، وكانت المناصب العليا من نصيب اتباعه المماليك الموالين له ، الذين من خلالهم استطاع القضاء على الكثير من التمردات العشائرية ، تحمل هذه الانتفاضات خلفية اجتماعية واقتصادية معقدة ، كانت البصرة في ذلك الوقت مركزًا تجاريًا مهمًا على الخليج العربي، وكانت تعتمد بشكل كبير على التجارة مع الهند وإيران وأجزاء أخرى من الشرق الأوسط ، في ظل سيطرة المماليك، زادت الضرائب والقيود على التجارة، مما أثار غضب العشائر والتجار والسكان المحليين ، تصاعدت التوترات مع مرور الوقت، وخرجت العشائر إلى الشوارع في موجات من الاحتجاجات والثورات المتتالية ، استخدمت العشائر وسائل متعددة للمقاومة، بما في ذلك الهجمات على الجيش المملوكي والهياكل الحكومية، والإضرابات والحصار.[١٥]

استمرت هذه الانتفاضات لسنوات طويلة وكانت تأتي بسبب عدة عوامل، بما في ذلك الظروف الاقتصادية الصعبة، والتعاسة الاجتماعية، والاستياء من الحكم المماليك والضرائب الثقيلة التي فرضت على السكان المحليين ، كانت العشائر تلعب دورًا مهمًا في هذه الانتفاضات، حيث شاركت فيها ودعمتها بشكل كبير، كانت العشائر تعتبر مركزًا للقوة والتأثير في المجتمعات العربية التقليدية، وكانت لها قدرة كبيرة على تنظيم وتوجيه الجهود الجماعية. تعتمد هذه العشائر على الولاء والانتماء القوي لأفرادها، وكانت قادرة على تجنيد أعداد كبيرة من الأفراد للمشاركة في القتال ودعم الحركات الثورية. كما كانت العشائر تمتلك شبكات اجتماعية واقتصادية وثقافية تسهل التنسيق والتعاون في سبيل تحقيق الأهداف المشتركة ، بعد وفاة سليمان باشا عام ١٧٦٢م حاولت السلطة العثمانية فرض سيطرتها على العراق من جديد من خلال ارسال والي الرقة سعد الدين واليا على بغداد ، لكن هذا التعيين جوبه برفض شديد من المماليك ، الذين قاموا بتعيين (علي اغا) واليا على بغداد وتمكن من السيطرة على بغداد وازاحة منافسيه ، وكان اول اعماله تجريد حملات عسكرية عديدة ضد العشائر المتمردة على مثل عشائر بني لام ١٧٦٣م ، وعشائر الخزاعل في السماوة وبني كعب في شرق البصرة ، وتم اغتياله عام ١٧٦٤م .[١٦]

جاء عمر باشا واليا على بغداد بعد مقتل علي اغا عام ١٧٦٤م وكان ضعيف الشخصية وتميز حكمه بالضعف الامر الذي ادى الى قيام الكثير من التمرد من قبل العشائر العراقية لاسيما في الفرات الاوسط والجنوب ، وشهد عصره احتلال البصرة من قبل كريم خان الزند عام ١٧٧٥ م ، الذي استغل ضعف الوالي وعدم قدرة متسلم البصرة سليمان باشا المملوكي من الدفاع عنها ، فوجدت الدولة العثمانية في هذا الامر سببا لعزل عمر باشا وتعيين مصطفى باشا الاسبيناقجي ، وكان اهم هدف لهذا الوالي الجديد هو التخلص من حكم المماليك على العراق ، لكن المماليك ادركوا نوايا الوالي الجديد ، لذا تحرك المماليك بقوة عسكرية في وسط العراق فتازم الوضع في العراق واثبت عقم الاجراءات العثمانية ضدهم الامر الذي اجبر السلطان العثماني الى عزل الوالي مصطفى باشا ، وتعيين والي جديد هو عبدي باشا ، لكن ايضا جوبه برفض المماليك واستمروا في تمردهم العسكري ولم يبقى في منصبه سوى سبعة عشر يوما ، انتفاضات العشائر في البصرة خلال فترة ١٧٨٧-١٨٣١ كانت جزءًا من التحركات الشعبية ضد حكم المماليك في المنطقة ، وانتفضت العشائر في البصرة ضد حكم المماليك لعدة أسباب، بما في ذلك الظلم والفساد الذي

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الرابع الثلاثون – حزيران ٢٠٢٤– ذي الحجة ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

كانوا يمارسونه، وتحميل الشعب الأعباء الاقتصادية بشكل غير عادل، وانتهاك حقوق الأفراد. قاد الزعماء القبليون هذه الانتفاضات، وكانوا يحاولون استعادة العدالة والمساواة في المجتمع ، وتمتلك العشائر قوة كبيرة في المناطق الريفية وكانت قادرة على تنظيم التمرد والمقاومة ضد الحكومة المركزية ، تمت الانتفاضات بشكل متكرر خلال هذه الفترة، وقد تواصلت حتى استطاعت العشائر تحقيق أهدافها وإسقاط حكم المماليك في البصرة. (١٧)

تمتلك العشائر قوة كبيرة في المناطق الريفية وكانت قادرة على تنظيم التمرد والمقاومة ضد الحكومة المركزية ، تمت الانتفاضات بشكل متكرر خلال هذه الفترة، وقد تواصلت حتى استطاعت العشائر تحقيق أهدافها، وامتلكت العشائر في هذه الفترة هياكل تنظيمية جيدة وشبكات اجتماعية تمكنها من تنظيم وتنسيق الهجمات والمقاومة ضد السلطة المركزية ، كانت هذه الانتفاضات تعكس أيضًا احتجاجات اجتماعية واقتصادية ضد الظلم والاستغلال الذي فرضه المماليك على الشعب ، بالرغم من تنوع العوامل والأسباب وراء هذه الانتفاضات، إلا أنها توحدت حول الهدف المشترك الذي هو إسقاط حكم المماليك وتحقيق الحكم الذاتي ، وبالفعل نجحت هذه الانتفاضات في إلحاق هزيمة بالمماليك وفرض سيطرة العشائر المحلية على المنطقة، على الرغم من أن هذه الفترة شهدت أيضًا صراعات داخلية بين العشائر لتحديد من سيسيطر على السلطة فيما بعد ، اما المدة من ١٧٧٥-١٨٣١ م فقد شهدت عاقب ولاة مماليك على السلطة في بغداد ، وبدات القوى الاوربية في التدخل في ترشيح الولاة وتعيينهم ممن يجدون فيه تحقيق مصالحهم في العراق ، وكذلك لغاية القوى الاوربية ابقاء العراق تحت حكم المماليك ، وتغلغلت القوى الاوربية بشكل كبير وملحوظ في العراق ابان عهد المماليك وذلك لاهمية العراق الستراتيجية في الخليج العربي وطريق المواصلات الى الهند ، فاصبح التضارب الاوربي والتنافس على اهمية طرق العراق لاسيما بعد قيام الحرب بين بريطانيا وبروسيا ومجموعة امارات المانيا ضد فرنسا والنمسا وروسيا اي اشتركت فيها معظم الدول الاوربية ضد بعضها البعض والتي سميت حرب السبع سنوات (١٧٥٦م-١٧٦٣م) ، وقد استغلت بريطانيا طريق العراق الى الهند ورفعت درجة وكالتها التجارية في البصرة الى قنصلية. (١٨)

ومن ابرز حكام المماليك على العراق واخرهم هو داود باشا ، اذ تسلم الحكم في ١٨١٧ وهو من اصل جورجي وزوج ابنة الوالي سليمان باشا الكبير ، وكانت له افكار وتوجهات اصلاحية ، وبدا حكمه بالقضاء على التمردات العشائرية في وسط وجنوب العراق عام١٨١٨م ، ومواجهة احتلال القاجاريين للمناطق الحدودية في العراق وعقد معهم معاهدة (ارضروم الاولى عام ١٨٢٣م) . (١٩)

وتميزت مدة حكم داود باشا بعد عام١٨١٨م بشيء من الاستقرار وشهدت بغداد بعض التطور والتخلص من القوات الانكشارية وتأسيس جيش حديث ، ولم يستمر داوود باشا في منصبه ، حيث كان يواجه عدة مشاكل وتعرضه لضغط سياسي من قبل السلطة العثمانية المركزية التي جردت حملة عسكرية لإعادة سيطرة السلطة المركزية العثمانية من جديد الى بغداد سنة ١٨٣١م، كانت نهاية حكم داوود باشا بنهاية حكم المماليك في العراق. (٢٠)

المبحث الثاني

الثورات العشائرية على حكم المماليك

لم يستقر الوضع في العراق في عهد المماليك اذ كانت الثورات تندلع بين وقت واخرى لاسيما في عشائر الفرات الاوسط بسبب رفض العشائر دفع الضرائب للحكومة لجسامتها التي تؤدي الى اعلان العصيان من قبل هذه العشائر ، كذلك ساعدت العادات والتقاليد في المجتمع العراقي شيوخ العشائر في اعلان ثوراتهم ويستمدون قوتهم من الولاء المطلق لهم من قبل عشائرهم. (٢١)

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الرابع الثلاثون – حزيران ٢٠٢٤– ذي الحجة ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

وتكبد المماليك خسائر كبيرة من جراء قيام هذه الثورات واستنزفوا الكثير من طاقاتهم البشرية والمادية ، اذ ان الحملات التي جردها المماليك ضد هذه الثورات مكلفة جدا ، وعلى الرغم من ان هذه الحملات كان لها تثيرا على العشائر وتشريد بعض افرادها وقتل البعض الاخر والاستيلاء على الاموال والمواشي والممتلكات التي يعتبرها المماليك غنائم لهم ، وكذلك يقومون بخلع شيخ العشيرة واستبداله بعد فراره منهم الى منطقة اخرى .[٢٢]

وكان للمواجهات بين المماليك والفرس من الاسباب التي شجعت العشائر في الفرات الاوسط على الثورات ، بسبب انشغال حكومة المماليك بتلك المواجهات ، فلجاء المماليك الى طريقة لتفتيت الولاء العشائري لشيخ العشيرة واضعاف العشائر عن طرق التفرقة فيما بينهم ، فقاموا باستبدال الشيوخ الذي يقودون ثورات ضدهم في مشيخة العشيرة بأبناء عمهم او ابناء اخوتهم الموالين لهم ، الامر الذي يؤدي الى تفرق ابناء العشيرة بين هؤلاء الشيوخ في الولاء .[٢٣]

وشهد حكم المماليك للعراق ثورات كثيرة من قبل العشائر العراقية وفي مناطق متفرقة ، وكان قمع هذه الثورات من اولويات الحاكم المملوكي ، اذ كانت هذه الثورات نشطت في بداية حكم المماليك لاسيما عشائر الفرات الاوسط ، لكن مع بداية حكم سليمان باشا (ابو ليلة) ضعفت الثورات العشائرية بسبب شدة ردود الاخير في تعامله مع هذه الثورات وكان شديد الوطأة على العشائر المتمردة وتعاملهم معهم تعاملا قاسيا ، لكن بعد وفاته عام ١٧٦٢م بدت في العراق موجة من الاضطرابات استمرت حوالي سنتين ، وبدات بالاستقرار في عهد عمر باشا عام ١٧٦٤ م ، اذ قام في بداية حكمه بالهجوم على شيخ الخزاعل حمود الحمد [٢٤] اذ كان امره مستفحلا واصبحت له اليد الطولى في التأثير على البلاد وكان يرفض تنفذ أي اوامر تصدر من حكومة الوالي ، وجهز عمر باشا جيشا كبيرا عام ١٧٦٤م بعد ان وصلته الاخبار بان حمود الحمد شيخ الخزاعل قام بعقد اتفاقات وعهود مع العشائر المجاورة له واصحبت كل هذه العشائر تحت امره. [٢٥]

كانت عشائر الخزاعل تسكن منطقة لملوم (الحمزة الشرقي حاليا) ، وفيها مقر الشيخ حمود الحمد ، ووصلت الحملة الى هذه المنطقة ودرات فيها معركة قوية بينهم وبين قوات العشائر المتحالفة تحت راية شيخ الخزاعل ، وانتهت المعركة لصالح حملة المماليك وكان العامل المهم في كسب المعركة كثرة عدد جيش المماليك ، واستولوا على المدينة وقاموا باعدام الكثير من رؤساء العشائر المتحالفة ، ولم يتمكنوا من اسر الشيخ حمود الحمد الذي لاذ بالفرار واصدر الوالي المملوكي امر بخلعه من المشيخة وعين بدلا عنه شيخا موالياً له ، لكن الشيخ حمود الحمد تواصل مع الوالي واعطى له العهود والمواثيق للوالي بالطاعة وتم اعادة المشيخة له.[٢٦]

بقيت العشائر في تمرد دائم وعدم استقرار البلاد واستعمل الحاكم المماليك اشدة اساليب القسوة في ردهم ، وكان الوالي سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢) اكثر الولاة شدة وعنفا في تعامله مع الثورات العشائرية لاسيما في لواء الحلة ، وكان مستمرا في ارسال الحملات العسكرية الها والى الشيخ حمود الحمد الذي ظل يقود التمردات العشائرية ، وكانت الثورات مستمرة في مناق متفرقة من العراق وكان الوالي المملوكي يستخدم كل الطرق ما بين القسوة والترضية في سبيل كسب العشائر والحد من ثوراتهم .[٢٧]

لم يتوانى الوالي سليمان باشا الكبير في استعمال اعنف طرق الرد العسكري ضد ثورات العشائر ، لكن العشائر لم يذعنوا له بل كانوا يقاومونه ويثورون في أي وقت يرونه مناسبا لهم ، ففي عام ١٧٨٣ م قام الشيخ محسن شيخ الشامية بثورة ضد حكومة المماليك ، وعلى الفور جهز سليمان باشا الكبير جيشا لقمه ثورته ، وعندما وصلت الحملة الى الشامية استعمل الوالي المملوكي اسلوب النصح ولم يتوصل الى نتيجة مع الشيخ

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الرابع الثلاثون – حزيران ٢٠٢٤– ذي الحجة ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

محسن ، وقامت قوات المماليك بالهجوم عليهم وقضت على اغلب افراد العشيرة ونهبوا املاكهم واموالهم ور الشيخ محسن ، وقام سليمان باشا الكبير بخلعه والحق مشيخته بالشيخ حمد الحمود شيخ الخزاعل الذي اصبح شيخ الشامية والجزيرة والخزاعل .[٢٨]

على الرغم من تنصيب الشيخ حمد الحمود شيخا للشامية والجزيرة والخزاعل الا انه في عام ١٧٨٤م دعى الى الثورة ضد المماليك ، فتحرك الوالي سليمان باشا الكبير على وجه السرعة بتجهيز حملة للقضاء عليه ووصلت الحملة الى جنوب الديوانية ، فقام الشيخ حمد الحمود بمباغتة قوات المماليك ليلا بهجوم قوي ومن عدة جهات ، واثناء هذه المواجهات بين الشيخ حمد الحمود وسليمان باشا الكبير وصل للاخير خبر وصول عجم محمد كهية (محمد العجمي) [٢٩] دخل الحدود العراقية الفارسية وجاء مساندا للشيخ حمد الحمود ، الامر الذي اجبر سليمان باشا الكبير بالرضوخ الى المفاوضات مع حمد الحمود والعشائر الملتحقة معه وابقاه على المشيخة والبسه خلعة الامارة وعاد الى بغداد. [٣٠]

تواصل شيوخ العشائر فيما بينهم وهم كل من حمد الحمود شيخ الخزاعل وثويني العبدالله شيخ المنتفك وسليمان الشاوي شيخ العبيد وتحالفوا فيما بينهم واتفقوا على الثورة ضد حكومة المماليك ، وحدثت صدامات بين احمد الكتخدا وسليمان بيك الشاوي شيخ العبيد انهزم على اثرها الاخير الى شيخ المنتفك ثويني العبدالله ،وتم الاتفاق مع الشيخ حمد الحمود شيخ الخزاعل واتفقوا على الاتحاد والثورة على حكومة المماليك ، واعلن هؤلاء الشيوخ عن قيام الاتحاد العربي العشائري وقاموا بالثورة ضد المماليك ، تحرك الوالي سليمان باشا الكبير بسرعة لمواجهة هذا الاتحاد فجهز جيشا قويا واسنده بقوة من اكراد درنة وباجلان ومنطقة البابانيين ، واستعان ايضا ببقايا قوات الانكشارية المتواجدة في الموصل .[٣١]

وتحرك لسيمان باشا الكبير بجيشة الذي قوامه حوالي ستة الالاف مقاتل في اواسط تشرين الاول ١٧٨٧ م ووصلوا الحلة ودارت مواجهات بينه وبين الشيخ حمد الحمود ، وكانت مواجهات غير متكافئة بسبب تفوق تسليح جيش المماليك وتم هزيمة الخزاعل ففر الشيخ حمد الحمود والمتبقي من قواته الى المنتفك ، لم يتاخر سليمان باشا الكبير في متابعة الشيخ حمد الحمود وقواته المنسحبة فلحقهم الى المنتفك وفي ٢٥ تشرين الاول ١٧٨٧م درات معركة كبيرة بين جيش المماليك والعشائر المتحالفة قريب سوق الشيوخ في الناصرية انتهت بهزيمة العشائر وتغلب قوات سليمان باشا الكبير .[٣٢]

بعد انتصار لسلمان باشا الكبير قام بخلع شيوخ التحالف واستبدالهم بشيوخ اخيرين ، فخلع حمد الحمود من مشيخة الخزاعل وعين بدلا عنه محسن الحمد ، وعين حمود الثامر بلاد عن ثويني العبدالله على مشيخة المنتفك ، اما الشيخ سليمان الشاوي شيخ العبيد فقد بقي هاربا بعدها طلب العفو من سليمان باشا الكبير فعفى عنه واعاد املاكه له ووضع تحت الاقامة الجبرية في مقاطعاته غرب بغداد. [٣٣]

لم تتوقف الثورات العشائرية اذ كانت تقوم بين مدة واخرى بسبب تلكؤ العشائر عن دفع الضرائب والرسوم المترتبة عليها ، ففي عام ١٧٩٢ امتنع شيخ الخزاعل محسن الحمود عن دفع الضرائب المترتبة على عشيرته ، فارسل اليه سليمان باشا الكبير حملة بقيادة احمد الكتخدا ، وانتهت الحملة بخضوع الشيخ محسن الحمود لحكومة المماليك والاذعان لها وتعهد بتسديد الضرائب المطلوبة منه فسامحه سليمان باشا الكبير وابقاه على مشيخته بعد اخذ الرهائن من افراد عشيرته.[٣٤]

رفضت اغلب افراد عشيرة الخزاعل هذا الرضوخ من قبل الشيخ محسن الحمود واتصلوا بالشيخ حمد الحمود واعلنوا انضمامهم اليه وخلع الشيخ محسن الحمود ، وفي عام ١٧٩٣م اعلن الشيخ حمد الحمود ثورته ضد حكومة المماليك ، فارسل الوالي المملوكي قوة عسكرية بقيادة الكتخدا علي باشا ، الذي حاصر عشيرة الخزاعل وضيق عليهم الامر الذي دفع حمد الحمود الى ارسال الوساطات والشيوخ للتدخل وطلب

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الرابع الثلاثون – حزيران ٢٠٢٤– ذي الحجة ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

العفو ، ورفض علي باشا كل الوساطات وامر بالهجوم على عشيرة الخزاعل وهزمهم وفر الشيخ حمد الحمود الى الشامية ، وقام علي باشا بجعل سبتي المحسن شيخا على الخزاعل في الجزيرة ومحسن الغانم شيخا على الخزاعل في الشامية واستوفى منهما الضرائب وعاد بقواته الى بغداد.(٣٥)

بعد وفاة سليمان باشا الكبير ١٨٠٢م بدات اوضاع المماليك في الضعف بسبب تنازع اتباعه على منصب الوالي واصبح القتل امرا واضح في السيطرة على كرسي الحكم فقتل علي باشا وبعده حالت افندي وكذلك قتل الوالي عبدالله باشا حتى وصل كرسي الحكم الى سعيد باشا الابن الاكبر لسيمان باشا الكبير عام ١٨١٣ م ، وخلال هذه المدة كثرت الثورات من قبل العشائر ضد حكومة المماليك ، لكن بعد تولي سعيد باشا الحكم واجه هذه الثورات بقوة ففي عام ١٨١٤ م عند اعلان شيخ الخزاعل العصيان ضد حكومة المماليك الجديدة قام سعيد باشا بتجهيز جيشا لمواجهة الخزاعل وعندما وصل بقواته الى الحلة وصلت له اخبار استعداد عشيرة الخزاعل للمواجهة فبقي مقيما في الحلة فقام الكتخدا بتواصل مع شيخ الخزاعل لغرض تسوية الامر واقنعوه بان يبعث رسائل من اجل المصالحة والتعهد بالطاعة ودفع الضرائب ، وكان غاية الكتخدا ان يستر عيوب الجيش والوالي وخوفهم من ومواجهة عشيرة الخزاعل في عقد الصلح.(٣٦)

لم يخفى امر ضعف الوالي المملوكي وعجزه عن مواجهة الخزاعل عن العشائر الاخرى التي قامت باعمال شغب وعصيان وتمرد على الحكومة والامتناع عن دفع الضرائب ، وازداد الامر سوءا على سعيد باشا في اثناء تواجده في الحالة وجود اربعين الف زائر ايراني في كربلاء معهم حرم الشاه الفارسي ، وقد حاصرتهم العشائر بقيادة شيخ الخزاعل ، ولخوف المماليك من الدولة الفارسية من اتخاذ هذه المشكلة ذريعة للتدخل في شؤون العراق ، قام سعيد باشا بعد الالحاح عليه من قبل قادة جيشه بوجوب انقاذ هؤلاء الزوار ، وقام احد القادة وهو داود الدفتري بتجهيز جيشا كبيرا وعندما سمعت العشائر بوصول هذا الجيش الى الحلة ذعرت منه وقام الجيش المملوكي بضرب العشائر المتمردة ومزق شملهم واضعف شوكتهم واستطاع فك الحصار عن الزوار واخراجهم من كربلاء ، كانت منطقة الفرات الاوسط تعج بالفوضى وكثرة التمردات من قبل العشائر ، وكانت عشيرة زبيد من ضمنها فارسل لهم سعيد باشا جيشا كبيرا للقضاء على هذه التمردات بقيادة داود اغا .(٣٧)

كان حكام المماليك يتبعون سياسية ضرب العشائر ببعضها لتفريق قوتهم ويستغلون الخلافات بين شيوخ العشائر لمصلحتهم وعندما تولى داود باشا الحكم في العراق سنة ١٨١٧ م جعل اولى مهام حكمه هو القضاء على تمرد العشائر ، اذ مر بتجربة بداية حكمه عندما كان الصراع على الحكم بين المماليك استغلت العشائر هذا الامر وكادت تقضي على حكمه ، فقد سيطرت العشائر على طرق القوافل وتفرض الاتاوات ويغزو بعضها البعض الامر الذي جعل المجتمع العراقي يرزخ تحت وطاة التحكم العشائري بصورة كبيرة.(٣٨)

لم يتوانى داود باشا من استخدام القسوة في ضرب العشائر المتمردة واتبع سياسة الحكام قبله في ضرب العشائر بعضها بالبعض الاخر وتفكيك قوتهم والقضاء عليهم منفردين على الرغم من الغارات الفارسية على الحدود التي انهكت قوته ، وكذلك وجود الفتن الداخلية بين المماليك حول كرسي الوالي ، فقد اصبح صادق باشا ابن سليمان باشا الكبير يطمح لهذا المنصب لاعتقاده باحقيته ، وقام بالجوء الى عشيرة زبيد عام١٨١٨ لدعمه في المطالبة بحقه ، وقد رحبت عشيرة زبيد به واستقبله شيخها شفلح الشلال ، وانضم اليهم جاسم بيك الشاوي شيخ العبيد ، الذي كان لاجئا عند عشيرة الخزاعل بعد ان اصدر داود باشا فرمانا بقتله ، والتفت بعض العشائر الاخرى حول صادق باشا وحرضته على الثورة ضد حكومة الوالي داود باشا ، وبدات هذه العشائر بشن الغارات وقطع الطرق واستولوا على معدات ومؤن للحكومة .(٣٩)

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الرابع الثلاثون – حزيران ٢٠٢٤– ذي الحجة ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

قام داود باشا بارسال حملة كبيرة كان قد اعدها لمواجهة القوات الفارسية في كركوك لكن قبل ارسالها لجاء داود باشا الى الطرق الدبلوماسية بسبب قوة التجمع العشائري ، وكذلك قام ببعض الاعمال الغرض منها تفريق هذه العشائر ، اذ قام بتسليط اولاد عم الشيخ شفلح الشلال شيخ زبيد عليه وهم علي البندر وشبيب الدرويش ووعدهم بالمشيخة بدلا عنه ، وقام علي البندر بجمع المقاتلين حوله من ابناء عشيرته والعشائر الاخرى وعمل على شق صفوف العشائر الثائرة ، الامر الذي اضعف شوكتهم وهذا ما ارداه داود باشا ، وعندما التقى الجيشان في جنوب الحلة كانت الغلبة لقوات المماليك .[٤٠]

بعد هزيمة العشائر امام قوات المماليك التجئ الشيخ شفلح الشلال والشيخ جاسم بيك الشاوي وصادق بيك الى الاهوار ، ولاحقهم داود باشا بحملات اخرى للقضاء عليهم وعندما محاصرتهم في الاهوار قدم الشيخ شفلح الشلال طلبا الى داود باشا يتعهد فيه بالتخلي عن صادق بيك وجاسم الشاوي مقابل العفو عنه واعادته الى المشيخة ووافق داود باشا على ذلك ، وعلى اثر هذا الامر هرب صادق بيك الى الحويزة واللجوء عند عشيرة كعب ، اما جاسم الشاوي فرجع شمال العراق في سنجار وقام بالثورة مرة اخرى وتمكن داود باشا من القضاء عليه .[٤١]

الخاتمة

كان دخول المماليك للعراق عن طريق الوالي حسن باشا الذي جلبهم لغرض حمايته والاعتماد عليهم وقد دربهم تدريبا عسكريا واداريا في مدارس خاصة اعدها لها الامر ، وحكم المماليك من بعد ابن حسن باشا العراق وسيطروا عليه وكانت سياستهم وبالاخص في منطقة الفرات الاوسط سياسة شديدة القسوة ، وان وضع هذه المنطقة في عهد المماليك في حالة يرثى لها من الاهمال الحكومي لها .

وكلما ضعفت قوة المماليك ازدادت قوة العشائر بالمقابل وخلال ضعف الحكومة تكثر حالات السلب والقتل وقتال عشائر فيما بينها ، وكانت تستغل ضعف الحكومة للقيان بالتمرد والثورات وتسيطر على منطقة الفرات الاوسط ، وهذه الثورات من الأسباب التي اسهمت في سقوط حكم المماليك في العراق ، اذ كان اخماد تلك الثورات يكلف حكومة المماليك الكثير من الاموال التي بدات تؤثر على قوتهم ، حيث كانوا يقمون لسد تكاليف الحملات بفرض ضرائب عالية على سكان المنطقة .

كان سكان هذه المنطقة ينظرون الى المماليك على انهم لصوص ينهبون اموالهم عن طريق الضرائب والاستيلاء على خيرات بلادهم ، فكانت نظرة الكراهية واضحة عندهم ضد المماليك ، وحاولت حكومة المماليك وبطرق عدة اضعاف واخماد الثورات العشائرية بين قوة الحملات العسكرية وسياسية الترغيب والتفريق بين افراد العشائر وعملت على ضرب شيوخ العشائر فيما بينهم وبين ابنائهم واعمامهم .

الهوامش

١. اسم يطلق على العبيد البيض . للمزيد ينظر : علاء موسى كاظم ، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١م ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص٢٥.
٢. ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص٣٧.
٣. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحدث ، ج١ ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص١٥٤.
٤. علاء موسى كاظم ، المصدر السابق ، ص٣١.
٥. المصدر نفسه ، ص٣٢.
٦. ساطع الحصري ، المصدر السابق ، ص٣٧.
٧. علاء موسى كاظم ، المصدر السابق ، ص٢٥.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الرابع الثلاثون – حزيران ٢٠٢٤– ذي الحجة ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

٨. قوات عسكرية اوجدها العثمانيون من الغلمان الاوربيين الذين تم اسرهم اثناء الفتوحات العثمانية وادخلوهم المدارس وتم تدريبهم عسكريا واستلموا مهام في الجيش العثماني . للمزيد ينظر : محمد فريد تاريخ الدولة العثمانية ، القاهرة ، ١٩٢١ ، ص٤١.
٩. ساطع الحصري ، المصدر السابق ، ص٣٨.
١٠. عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٦ ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص٤٠.
١١. ساطع الحصري ، المصدر السابق ، ص٣٨.
١٢. كلمة تركية تعني الدائرة الداخلية أي القسم الخاص من القصر . ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، تر: جعفر الخياط ، ط٤ ، بغداد ، ١٩٦٤ ، ص٤٢٣.
١٣. علاء موسى كاظم ، المصدر السابق ، ص٢٦.
١٤. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص١٥٤.
١٥. كارسنن نيبور ، رحلة نيبور للعراق في القرن الثامن عشر ، تر : محمود حسين الامين ، بغداد ، ١٩٦٥ ،ص ٥٩.
١٦. رسول الكركوكلي ، دوحة الوزراء في وقائع بغداد الزوراء ، تر : علاء موسى كاظم ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص٢٨-٣٠.
١٧. المصدر نفسه ، ص ٤١.
١٨. محمد علي الصوفي ، المماليك في العراق ، الموصل ، ١٩٥٢ ، ص٥٥.
١٩. المصدر نفسه ، ص ٥٨.
٢٠. المصدر نفسه ، ص٦٠.
٢١. حمود الساعدي ، بحوث عن العراق وعشائره ، النجف ، ١٩٩٠ ، ص٧٧.
٢٢. مؤيد احمد خلف الفهد، السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية (١٧٥٠-١٨٦٩) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٢ ،ص٦٧.
٢٣. صادق جعفر الانصاري ، العراق في عهد سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٨ ، ص٥٠.
٢٤. حمود الحمد ال عباس رئيس عشيرة الخزاعل العربية ووالد الشيخ حمد الحمود تراس عشيرته للمدة (١٧٤٠- ١٧٧٢) توفي في البصرة . ينظر : وادي العطية ، تاريخ الديوانية قديما وحديثا ، النجف الاشرف ، ١٩٥٤ ، ص٢٠.
٢٥. لونكريك ، المصدر السابق ، ص٢٤٢.
٢٦. رسول الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص١٨٠.
٢٧. عباس ا لعزاوي ، المصدر السابق ، ص٩٣.
٢٨. المصدر نفسه ، ص ٩٤.
٢٩. عجم محمد الكهية او محمد العجمي من بلاد فارس تقرب الى الولاة المماليك حتى اصبح دويدار عند عمر باشا وفي ولاية حسن باشا هرب الى بعقوبة وهرب الى ايران في زمن سليمان باشا الكبير . ينظر : عثمان بن سند البصري ، مطالع السعود باخبار الوالي داود ، بغداد ، د.ت ، ص١٧.
٣٠. مؤيد احمد خلف الفهد ، المصدر السابق ، ص٦٨.
٣١. يعقوب سركيس ، مباحث عراقية ، ج١ ، ١٩٤٨ ، ص٧٠.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الرابع الثلاثون – حزيران ٢٠٢٤– ذي الحجة ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

٣٢. احمد جودت ، تاريخ جودت ، ج٣ ، اسطنبول ، د.ت ، ص٢٣٢.
٣٣. علاء موسى كاظم ، المصدر السابق ، ص١٥٧.
٣٤. عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص١١٢.
٣٥. المصدر نفسه ، ص١٢٠.
٣٦. رسول الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص٢٦٠.
٣٧. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٢٢٥.
٣٨. رسول الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص٢٦٢.
٣٩. المصدر نفسه ، ٢٢٣.
٤٠. احمد جودت ، المصدر السابق ، ج١١ ، ص٣٢.
٤١. عبد العزيز سليمان نوار ، داود باشا والي بغداد ، القاهرة ، ١٩٦٨. ، ص٨٣

المصادر

اولا : المؤلفات

١. احمد جودت ، تاريخ جودت ، ج٣ ، اسطنبول ، د.ت
٢. حمود الساعدي ، بحوث عن العراق وعشائره ، النجف ، ١٩٩٠
٣. رسول الكركوكلي ، دوحة الوزراء في وقائع بغداد الزوراء ، تر : علاء موسى كاظم ، بيروت ، ١٩٦٣
٤. ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، القاهرة ١٩٥٧
٥. ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، تر: جعفر الخياط ، ط٤ ، بغداد ، ١٩٦٤
٦. عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٦ ، بغداد ، ١٩٥٤
٧. عبد العزيز سليمان نوار ، داود باشا والي بغداد ، القاهرة ، ١٩٦٨.
٨. عثمان بن سند البصري ، مطالع السعود باخبار الوالي داود ، بغداد ، د.ت
٩. علاء موسى كاظم ، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١م ، بغداد ، ١٩٧٥.
١٠. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحدث ، ج١ ، بيروت ، ٢٠٠٥.
١١. كارسنن نيبور ، رحلة نيبور للعراق في القرن الثامن عشر ، تر : محمود حسين الامين ، بغداد ، ١٩٦٥.
١٢. محمد علي الصوفي ، المماليك في العراق ، الموصل ، ١٩٥٢
١٣. محمد فريد تاريخ الدولة العثمانية ، القاهرة ، ١٩٢١
١٤. وادي العطية ، تاريخ الديوانية قديما وحديثا ، النجف الاشرف ، ١٩٥٤
١٥. يعقوب سركيس ، مباحث عراقية ، ج١ ، ١٩٤٨

الرسائل والاطاريح

١. صادق جعفر الانصاري ، العراق في عهد سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٨
٢. مؤيد احمد خلف الفهد، السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية (١٧٥٠-١٨٦٩) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٢.